مشكلةُ الشَّرِّ عند (جون ليزلي ماكي) (دراسةٌ نقديَّةٌ)

أ.د. جميل حمداوي[1]

ملخّص

يتنـاولُ المقالُ معضلةَ الشَّرِّ عند (جون ليـزلي ماكي - John Leslie Mackie) ضمن رؤية خُلُقيَّة شـكيِّيَّة إلحاديَّة، منطلقًا من خمس فرضيَّات رئيسـة هي: الله كلِّيُّ الخيريَّة، الله كلِّيُّ القـدرة، الله كلِّيُّ المعرفـة، الله موجودٌ، الشَّرُّ موجودٌ. وقد تعامـلَ معها من منطلق منطقيٍّ وجدليٍّ وحجاجيٍّ من أجل أن ينكرَ وجودَ الله ما دام اللهُ شرِّيرًا. بمعنى أنَّه درسَ التَّناقضاتِ الموجودةَ بين الفرضيَّات الخمسِ من خلال الحلولِ الكافية والحلولِ الخطأ.

كما ناقـشَ الإرادةَ الحرَّةَ عنـد البشر في التَّعاملِ مع الـشَّرِّ. ولكنَّنا فنَّدنـا معظمَ أطاريحِه الفلسفيَّة واللاهوتيَّة؛ انطلاقًا من نظريَّاتِ الفلاسفة والمَناطِقةِ المسلمين.

الكلمات المفتاحية: الشَّرُّ، الفرضيَّاتُ الخمسُ، الشَّرُّ الخُلُقيُّ، الشَّرُّ الميتافيزيقيُّ، الشَّرُّ الطَّبيعيُّ، نظريَّةُ الصلاحِ والأصلحِ، نظريَّةُ الكَسْبِ.

١ - أستاذ التعليم العالي بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، المغرب.

مقدّمة

تُعـدُّ قضيَّةُ الشَّرِّ من أهــمِّ القضايا الميتافزيقيَّة والعقَديَّة التي انشـغلَ بها الفلاسـفةُ، وعلماءُ اللَّاهـوت، ورجالُ الدِّين، والفـرَقُ الكلاميَّةُ. وقد اتَّخذتْ طابعًا دينيًّـا لاهوتيًّا ما دام الشَّرُّ فعلاً خُلُقيًّا مشـينًا مقترنًا بالخطيئة والجريمة والجناية. وبالتالي، يستلزمُ من صاحبه أن يطلبَ من الله العفوَ والصفحَ والمغفرةَ.

ويعدُّ الشَّرُّ نقيضَ الخير. وهو سـببُ المعاناة الذَّاتيَّة والموضوعيَّة، وسـببُ الشَّـقاء والأذى والعدوان على الآخر. وقد يكون الشَّرُّ خُلقيًّا، وميتافيزيقيًّا، وفيزيائيًّا (المعاناة)، ودينيًّا، وطبيعيًّا، وتقنيًّا. فالحياةُ كفاحٌ مسـتمرٌّ ضدَّ الشَّرِّ، وسـعيٌ جادٌّ إلى تحصيل الخير قصْدَ تحقيق السَّـعادة والفضيلة والكمال. وكما قالَ (كروتشه - Croce): "إن الشَّرَّ هو المحرِّكُ الدائمُ للحياة الروحيَّة".[1]

فالـشَّرُّ هو انحـرافُ الإرادة واضطرابُها، والميلُ نحو الفوضى والخـراب والعدوان، وانتهاكٌ متعمَّدٌ وغيرُ متعمَّد للحدود المشروعة والتمرُّدُ عليها، وارتكابُ الجرائم المجتمعيَّة، وممارسـةُ العنـف والأذى والقتل. وهو يعنـي عدمَ الخضوع لأوامـر الشَّرع والقانـون والأخلاق، وعدمَ الانصياع للقيم الخُلُقيَّة والمجتمعيَّة والدِّينيَّة. "وليسَ من شكٍّ في أنَّ الأخلاقَ مظهرٌ من مظاهر النِّظام أو التَّكامل في حياتنا الشَّخصيَّة، فلا غرابةَ بعد ذلك في أنْ يكونَ الشَّرُّ عائقًا أو عقبةً تحولُ دون تحقُّق وَحدتنا الشَّخصيَّة. ومعنى هذا أنَّ الشَّرَّ يمثِّلُ في حياتنا النَّفسيَّة ضربًا من الانقسام أو التوزُّع؛ لأنَّه يمنعُنا من الخضوع للقيم العليا التي يمكنُ أنْ تضمنَ لنا شيئًا من النِّظام أو التَّكامل في الشَّخصيَّة. مضافًا إلى أنَّه ينطوي دائمًا على استسلامٍ للظُّروف الخارجيَّة المتعارضة، واسْتكانةٍ

١ - زكريا إبراهيم: المشكلة الخلقية، ص١٨٦.

أمامَ الإغـراءاتِ الدُّنيويَّةِ المتعدِّدة، كما أنَّه ينطوي على عمليَّةِ رفضٍ للاسـتماعِ إلى نداءِ القيمِ. وحين يقولُ بعضُ فلاسفةِ الأخلاقِ؛ إنَّ تجربةَ الشَّرِّ تمثِّلُ دائمًا ضربًا من الخيانةِ أو عدمِ الوفاءِ، فإنَّهم يعنونَ بذلك أنَّها في جوهرِها عمليَّةُ إنكارٍ للقيمِ!"[١]

إذا كان هناك من فلاسفةِ الأخلاقِ مَن يعتبرُ الشَّرَّ قيمةً خُلُقيَّةً مطلقةً، فإنَّ هناك من يجعلُه قيمةً نسبيَّةً. فالشرُّ هو حليفُ التَّشتُّتِ، والتَّفكُّكِ، والانقسامِ، والتَّصدُّعِ، والتمزُّقِ، والانكسارِ. ويؤثِّرُ هذا كلُّه في وحدتِنا النَّفسيَّةِ وحياتِنا الشَّخصيَّةِ، ووجودِنا الميتافيزيقيِّ.

أوَّلًا: معضلةُ الشَّرِّ من منظورِ (ماكي):

اشـتُهر الفيلسـوفُ الأسـترالي (جون ليزلي ماكي-John Leslie Mackie) (١٩١٧-١٩٨١) بإسـهاماته ضمن ما يسمَّى بفلسـفة الدين والميتافيزيقا. وقد تبنَّى موقفًا يُسمَّى بالشكِّ الخُلُقيِّ من خـلال تصدِّيه الحِجاجيِّ واللاهوتيِّ للوجود الموضوعيِّ للخـير والشَّرِّ باعتبارهما كياناتٍ معياريَّة جوهريَّة. ومن أشهر أعماله (الأخلاق: اختراع الصواب والخطأ)[٢]، ويبدأ صراحةً بعبارة "لا توجد قيمٌ موضوعيَّة". ويستخدم عدَّة حجج لدعم هذا الادِّعاء. ويُحاجج بأنَّ بعض جوانب الفكر الخُلُقيِّ نسبيَّة، وأنَّ الأخلاق الموضوعيَّة تتطلَّب سِمةً جوهرية عبثيَّة لتوجيه العمل. والأهمُّ مـن ذلك كلّه، يعتقـد أنَّه من الصعب جدًّا معرفة كيف يمكن للقيـم الموضوعية أن تتداخل مع سِـمات العالم الطبيعي، ويُجادل بأنَّه من الصعب تبرير معرفتنا بـ "كيانات القيم" أو تفسـير أيِّ روابط أو عواقب قد تترتَّب عليها، ومن الممكن إثبات أنَّه حتى دون القيم الموضوعية، سـيظلُّ لدى الناس سببٌ للاعتقاد بها إيمانًا راسخًا.

وفيما يتعلَّق بالدين، يُعرَف (ماكي) بدفاعه الشـديد عن الإلحاد؛ بحيث أثبت أنَّ مشكلة الشَّرِّ تُضعف الديانات التوحيدية الرئيسة[٣]. وتُعدُّ انتقاداته لنظريَّة العدالة الإلهيَّة القائمة على الإرادة

---

١ - زكريا إبراهيم: المشكلة الخلقية، ص:١٨٨.

2 -John Leslie Mackie :Ethics: Inventing Right and Wrong .

3 -See, for example, Mackie : Le miracle du théisme : arguments pour et contre l›existence de Dieu.

الحـرَّة بالغة الأهمِّية. فهو يُجادل بأنَّ فكرة الإرادة الحرَّة البشرية لا تمُثِّل دفاعًا عن أولئك الذين يرغبـون في الإيمان بوجود كائـنٍ كلِّيِّ القدرة في مواجهة الشَّرِّ والمعانـاة؛ لأنَّ هذا الكائن كان بإمكانه أن يمنحنا الإرادة الحرَّة والكمال الخُلُقيَّ، ما يدفعنا إلى اختيار الخير في كلِّ موقف. وقد نشر عام ١٩٥٥م كتاب (الشر والقدرة المطلقة)[١] الذي لخَّص فيه وجهة نظره القائلة؛ إنَّ الإيمان بوجود الشَّرِّ وإله كلِّيِّ القدرة، وكلِّيِّ العلم، وكلِّيِّ الخير غير عقلاني إطلاقًا[٢].

وفي الميتافيزيقيا، قدَّم (ماكي) إسـهامات مهمَّة فيما يتعلَّق بطبيعة العلاقات السببيَّة، وخاصةً العبارات الشرطيَّة التي تصفها ومفهوم الشرط الداخلي.[٣]

ويـرى (ماكي) أن ثمَّة خمسَ فرضيات أو حجج اسـتدلالية يرتكز فيهـا بحث الشَّرِّ هي: الله موجود، والله كلِّيُّ القدرة، والله كلِّيُّ المعرفة، والله كلِّيُّ الخيرية، والشَّرُّ موجود. هذه الفرضيات المنطقيَّـة والبرهانيَّـة والحِجاجيَّة لا تعني أنَّ الله غير موجود ما دام الـشَّرُّ موجودًا في العالم أو الكون الذي نعيش فيه. فعلينا أن نؤمن بوجود النقيضين في هذا العالم؛ الخير والشر معًا، فالشرُّ طريق ضروري لمعرفة الخير. والإيمان وصحَّة الاعتقاد يستوجبان أن نؤمن بوجود الخير والشر معًا. ولا يعني وجود الشَّرِّ غيابَ الإله وعدم وجوده. ولا يعني أيضًا أن الله شرِّير لا يسـتحقُّ أن يُعبد، بل القضية تتعلَّق بالإرادة الحرَّة للبشر، فكلُّ فرد يشعر بامتلاكه للحرِّية والإرادة، وهو قادر عـلى الإتيان بالخير والشَّرِّ معًا، فلا يعقل أن يكون الإنسـان أعلى وأقـدرَ من الربِّ، فالله خالق للخير والشَّرِّ معًا، ولا يمارس الشَّرَّ (العذاب والانتقام) إلا إذا كان الفعل البشري عبارة عن خطيئة أو جناية أو سيِّئة لا تعقبها مغفرة أو توبة، أي: كان فعَلا عدوانيًّا متعمَّدًا في حق الآخرين.

إن مشكلة وجود الشَّرِّ في العالم مشكلة فلسفية عامَّة تواجه أنماط الإيمان الديني كلَّها، وقد مثَّلت التحدِّي الأقوى للإيمان بوجود الله في الماضي والحاضر والمسـتقبل. بمعنى أن قضية الشَّرِّ قضية فلسفية وكلامية نوقشت قديمًا وحديثًا في مجالات عدة. وتحضر مشكلة الشَّرِّ مقابلاً

1 - J. L. Mackie, «Evil and Omnipotence,» Mind, New Series, Vol. 64, No. 254. pp. 200212-.

2 -(en) Mackie, « Iv.—Evil and Omnipotence », Mind, vol. LXIV, no 254, 1955, p. 200–212

3 -The Cement of the Universe: A Study of Causation .

موضوعيًّا للإيمان والإلحاد ونفي للربوبيَّة، فما دام الله يرتكب الشرور، فهو غير موجود منطقًا وبرهانًا ومعتقدًا. ويعني هذا أنَّ الإنسان يستغرب من كثرة الشرور والجرائم والحروب التي يرتكبها الناس ضد بعضهم بعضًا، ولا يتدخَّل الله ليغيِّر الواقع البائس الذي يعيش فيه الإنسان كأنَّه غائب عن العالم بطريقة تراجيديَّة على الرغم من أن الله كليِّ المعرفة، وكليَّ الخيرية، وكليَّ القدرة؛ ما يسبِّب الشكَّ عند الإنسان المؤمن في قدرة الله على التغيير والإنقاذ. ويعرف هذا المنحى بالشكِّ الخُلُقيِّ عند الفيلسوف (جون ليزلي ماكي).

وقد وظَّف (ماكي) الشَّرَّ حجةً برهانية ومنطقية أو دليلاً أو شبهة تبريرية للملحدين؛ للطعن في وجود الله، وعدم الإيمان به ما دام الله تصدُر عنه الشرور الطبيعية والفيزيقية والخُلُقيَّة تجاه عباده من البشر، أو يكون غائبًا عن العالم لا يتدخَّل ولا يصلح ولا ينقذ. وإذا كانت هذه الشبهة قد ظهرت على استحياء قديمًا، فقد صارت اليوم أهمَّ الحجج التي يعتمد عليها الملحدون وأقواها. وتعدُّ هذه الشبهة "صخرةَ الإلحاد"، بل هي الحجَّة المركزية للإلحاد. وتعتبر أيضًا السبب الأول للإلحاد، وإنكار وجود الله الخالق.

وقد أقرَّ فيلسوف اللاهوت وأستاذ الفلسفة بجامعة نوتردام (ألفين بالنتينجا- Alvin Plantinga) " بأنَّ مشكلة الشَّرِّ هي أقوى دليل، وربما تكون الدليل الوحيد الذي يمكن استحضاره ضد المعتقد الإلهي."[١]

ويعني هذا أنَّ معضلة "وجود الشر في العالم، وحسب ما يعتقد الفيلسوف الأمريكي (رونالد ناش- Ronald Nash) هي أقوى تحدٍّ للإيمان بوجود الله في الماضي والحاضر والمستقبل."[٢]

فالله كليُّ القدرة، والله كليُّ الخيرية، والله كليُّ المعرفة، والله موجود، والشرُّ موجود هي فرضيات ميتافيزيقية ولاهوتية غير متَّسقة منطقيًّا وبرهانيًّا، فلا يعقل أن يكون الله كليَّ الخيريَّة، وشرِّيرًا في الوقت نفسه؛ إذ يعني هذا أنَّ الله غير موجود ما دام لم يتدخَّل في العالم لتغييره وفَرْض الخيريَّة، أي: إن مشكلة الشَّرِّ دليل على عدم وجود الله، ويطعن الدليل في صدق الإيمان بوجود

١ - غيضان السيد علي: «الإلحاد ومشكلة الشر دراسة نقدية للإلحاد القائم على وجود مشكلة الشر»، ص٢١.

٢ - غيضان السيد علي: «الإلحاد ومشكلة الشر دراسة نقدية للإلحاد القائم على وجود مشكلة الشر»، ص٢٢.

الله؛ حيث يبدو أنَّ هناك توتُّرًا منطقيًّا في الجمع المنطقيِّ بين الفرضيات الخمس في نسق واحد متَّسق[١].

وقد " تشكَّلت مشكلة وجود الشَّرِّ في العالم عبر مجموعة من الأسئلة التي صيغت بشكل شبه عقلاني متعمَّد؛ ليقود إلى الإلحاد، من قبيل: كيف يترك الإله كلَّ هذه الشرور المتمثِّلة في الكوارث والأزمات والأوبئة والأمراض التي تفتك بالأطفال والنساء والشيوخ وسائر البشر دون رحمة أو شفقة؟ ولماذا يخلق الإله أطفالاً مشوَّهين إذا كان قادرًا على أن يخلقهم أسوياء؟ ولماذا يترك الله نيران الحروب مشتعلةً حتى تلتهم الأخضر واليابس، وتعصف بحياة الأبرياء والضعفاء دون أن يتدخَّل بقدرته غير المتناهية لإيقافها ورفع المعاناة عن كاهل البشر؟ وهذه التساؤلات -من منظور إلحادي - تقودنا إلى أربعة مزاعم أو احتمالات رئيسة، وهي: إمَّا أن لا يكون هناك إله. وإمَّا أن يكون هناك إله، ولكنَّه عاجز ولا يستطيع أن يوقف كلَّ هذا الشَّرِّ الموجود في العالم. وإمَّا أن يكون هناك إله ولكنَّه لا يعلم ولا يعرف ما يعانيه البشر من آلام ومعاناة، فهو إله يشوبه نقص. وإمَّا أن يكون هناك إله يعلم الشَّرَّ والألم والمعاناة، وقادر على منعها، لكنَّه لا يريد ذلك، فهو إله شرِّير يستمتع بصراخ الأطفال ونحيب الضعفاء، ويتلذَّذ بإراقة الدماء وقتل العزل والأبرياء! ما يضع الإله بين احتمالات أربعة، هي: عدم وجود الإله، أو الإله العاجز، أو الإله الناقص، أو الإله الشرِّير."[٢]

وتسمَّى هذه الفرضيات بمشكلة الشَّرِّ الاستنباطيَّة؛ لأنَّ الاستنتاج الإلحاديَّ بالإمكان استنباطه من الفرضيات المقبولة من المؤمن، أو هذا ما يُفترض. وهي المشكلة المتعلِّقة بالتناقض الموجود بين دعوى وجود إله قدير وعليم ورحيم، وبين وجود الشَّرِّ. والتي زعم أصحابها وجود تناقض بين الفرضيات الخمس الآتية: (الله موجود، والله كليُّ القدرة، والله كليُّ المعرفة، والله كليُّ الخيرية، والشرُّ موجود).

"يُعدُّ الفيلسوف الأسترالي (جون ليزلي ماكي) أهمَّ القائلين بها، وقد تابعه في ذلك كلٌّ من:

---

١ - غيضان السيد علي: «الإلحاد ومشكلة الشر دراسة نقدية للإلحاد القائم على وجود مشكلة الشر»، ص٢٢.

٢ -غيضان السيد علي: «الإلحاد ومشكلة الشر دراسة نقدية للإلحاد القائم على وجود مشكلة الشر»، ص٢٢.

الفيلسوف الإنجليزي (أنطوني فلو- Felw Antony) في بحثه المنشور عام ١٩٥٥ والمعنون بـ (القدر، الإلهية والحرِّية إلانسانية)، والأمريكيان (جون مكلوسكي- Mccloskey .J.H) في بحثه المنشور عام ١٩٦٠ المعنون بـ (الله والشر)، و(هنري أيكن- Aiken Henry) في بحثه المنشور سنة ١٩٥٧ بعنوان بـ (الله والشر). كما يعد الفيلسوف الأمريكي (ألفين بالنتينغا) هو أهم من فنَّد مزاعم تلك المشكلة، وأثبت تهافت حجج أصحابها.[١]"

وفي بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، وتحديدًا في عام ١٩٥٥ م قدَّم الفيلسوف الأسترالي (جون ليزلي ماكي) بحثًا بعنوان (الشر والقدرة الكلِّية) أثبت فيه وجود الشَّرِّ في العالم بوصفه مبرِّرًا للإلحاد. وأنَّه يحْدث "فجوة تفسيرية يتحتَّم على المؤمن أن يحاول إمَّا ملأها أو تعليلها؛ إذ ارتأى أن وجود الله وصفاته المنسوبة له مثل الخيريَّة الكلِّية والقدرة الكلِّية والمعرفة الكلِّية تتعارض منطقيًّا مع وجود الشر في العالم"[٢]، أو فيما عرف «بحجَّة ماكي» التي صاغها على النحو الآتي:

ينتهي (ماكي) إلى القول، إنَّ مشكلة الشَّرِّ التقليدية تفتح المجال لمزيد من النقد العقلانيِّ للدين؛ إذ يمكن إثبات أنَّ المعتقدات الدينية لا تفتقد إلى الدعم المنطقيِّ فحسب، بل إنَّها تبدو غير عقلانية بشكل بيِّن. وأنَّ أجزاء العقائد اللاهوتية الأساس تبدو متعارضة مع بعضها بعضًا. ولكي يثبت اللاهوتي الإيمان عليه أن ينبذ المنطق بصورة أكثر تطرُّفًا حتى يصبح مهيَّأً ليس فقط لتصديق ما لا يمكن تصديقه، بل تصديق ما يمكن دحضه.[٣]

يزعم (ماكي) أنَّ المقترحات الثلاثة الآتية لا يمكن أن تكون كلُّها صحيحة:

- الله قادر على كلِّ شيء.
- الله صالح كليًّا.
- هناك بعض الشرور.

---

١ - غيضان السيد علي: «الإلحاد ومشكلة الشر دراسة نقدية للإلحاد القائم على وجود مشكلة الشر»، ص٤٥.

٢ - غيضان السيد علي: «الإلحاد ومشكلة الشر دراسة نقدية للإلحاد القائم على وجود مشكلة الشر»، ص٤٥.

٣ - غيضان السيد علي: «الإلحاد ومشكلة الشر دراسة نقدية للإلحاد القائم على وجود مشكلة الشر»، ص٥٩.

Maki (J.L.), Evil and Omnipotence, Mind, New Series, Vol. 64, No. 254. p. 200

هذه المبادئ الثلاثة ليست متناقضة شكليًّا. ولإثبات تناقضها علينا إضافة بعض المبادئ الأخرى؛ حيث يقدِّم (ماكي) مبدأين:

- إذا كان هناك شيء جيِّد بالكامل، فإنَّه يزيل دائمًا أكبر قدر ممكن من الشَّرِّ.
- إذا كان هناك شيء قادر على كلِّ شيء، فإنَّه قادر على فعل أيِّ شيء.

يعتقد (ماكي) أن هذين المبدأين معقولان. وباستخدامهما يمكننا استنتاج تناقض في المبادئ الثلاثة التي بدأنا بها.

وبما أن المبادئ الخمسة المذكورة أعلاه تنطوي على تناقض، وليس هناك أيُّ تناقضات حقيقية، فلدينا اختزال لهذه المجموعة من المبادئ. وهذا يعني أن واحدًا منها على الأقل يجب أن يكون خطأً. فالسؤال المهمُّ هو: أيٌّ منها؟

يطرح (ماكي) مختلف الإجابات عن هذا السؤال. ويميِّز بين نوعين رئيسين من الحلول: الحلول الكافية، والحلول الخطأ.

هناك حلولٌ كافيةٌ كثيرةٌ لمشكلة الشَّرِّ، وقد تبنَّاها، عددٌ من المفكِّرين. على سبيل المثال، قرَّرت فئة قليلة التخلِّي عن قدرة الله المطلقة، وارتأى عددٌ أكبر الاحتفاظ بمصطلح «القدرة المطلقة» مع تقييد نطاقه، مذكِّرين بعددٍ من الأمور التي لا يستطيع كائنٌ قادرٌ على كلِّ شيءٍ القيام بها. قال بعضٌ إنَّ الشرَّ وهمٌ، ربما لأنَّهم زعموا أنَّه حتى لو كانت الأمورُ الدنيويَّةُ كما نراها إلى حدٍّ كبير، فإنَّ ما نسمِّيه شرورًا ليس شرورًا في الحقيقة. قال بعضٌ إنَّ ما نسميه شرًّا هو مجرَّد حرمانٍ من الخير، وأنَّ الشرَّ بالمعنى الإيجابي، أي: الشر الذي يُعارض الخيرَ حقًّا، غير موجود. واتَّفق كثيرون على أنَّ الفوضى ليست سوى انسجامٍ مُساء فهمه، وأنَّ الشرَّ الجزئي خيرٌ عالمي.

مضافًا إلى الحلول المناسبة، يجب أن ندرك وجودَ حلول متناقضة غير مُرضية، والتي لا تنطوي إلَّا على رفض جزئي أو مؤقَّت لأحد الافتراضات التي تُشكل المشكلة عند النظر إليها معًا. يُرفض أحد الافتراضَين صراحةً، ولكن يُعاد تأكيده أو افتراضه سرًّا في مكان آخر من النظام.

أما الحلول الخطأ هي في واقعها لا تُعتبر رفضًا لأيِّ مبدأ أدَّى إلى التناقض. لهذا السبب، لا يعتقد (ماكي) أنَّها تُفيد اللاهوتي الذي يحاول حلَّ مشكلة الشر. وتهدف مناقشته لكلٍّ منها إلى توضيح أسباب فشلها في معالجة المشكلة الحقيقية.

فاللــه قويٌّ، والله خيرٌ، ولكن لِمَ يوجد الشر في العــالم؟ فهنا تناقض جليٌّ بين هذه الحقائق الثلاث عند اللاهوتيين. فالحقيقتان الأولى والثانية صائبتان، والثالثة خطأ. ويعني هذا؛ ليس هناك اتِّســاق وانسجام بين هذه الفرضيات الثلاث. ويعني هذا؛ أنَّ الشَّرَّ يتناقض مع الخير. ويدلُّ هذا عــلى أنَّ الكائن الخيرِّ يلغي الشَّرَّ كليًّــا. وبما أنَّ الكائن خيرٌ، والشَّرَّ موجود، فهذا يعني أنَّ هناك مفارقة وتناقضًا وتضادًّا ميتافيزيقيًّا ولاهوتيًّا[١].

ثانيًا: حججٌ وشبهاتٌ:

يطرح (ماكي) مجموعة من الشــبهات والحجج المنطقية من أجل مناقشة معضلة الشَّرِّ، وقد حصر هذه الحجج في القواعد الآتية:

١. القاعــدةُ الأولى: لا يمكنُ للخير أنْ يوجدَ دون وجودِ الشَّرِّ؛ لأنَّ الشَّرَّ ضروريٌّ لمعرفةِ الخيرِ.

الفكرة الأســاس -هنا- هي أنَّ اللــه لم يكن ليتمكَّن من خلق عالم فيه أيُّ خير دون الســماح ببعض الشَّرِّ، لأنَّه من المستحيل أن يوجد الخير دون الشَّرِّ. وأمَّا القول؛ إنَّ هذا يشكِّل قيداً على قدرة الله المطلقة. فإنَّ القدرة المطلقة لا تمتدُّ إلى القيام بأشياء مستحيلة منطقيًّا[٢].

٢. القاعدةُ الثَّانيةُ: الشَّرُّ ضروريٌّ باعتباره وسيلةً لتحقيق الخيرِ

الفكرة الأســاس هنا هي أنَّ الله يستخدم الشَّرَّ لإحداث الخير، بالطريقة نفسها التي نجد فيها أنَّنا في كثير من الأحيان نضطرُّ إلى القيام بشيء مؤلم، مثل الذهاب إلى طبيب الأســنان لتحقيق نهاية مرغوبة، مثل: إصلاح تجويف في الأسنان.

---

1 - John Leslie Mackie : Truth, Probability, and Paradox (1973), Oxford University Press, ISBN 09-824402-19-.

2 -John Leslie Mackie : Éthique: Inventer le bien et le mal (1977), Viking Press, (ISBN 0-14-8-013558).

٣. القاعـدةُ الثَّالثةُ: إنَّ الكونَ الذي فيه بعضُ الشَّرِّ أفضلُ من الكونِ الذي لا يوجدُ فيه أيُّ شرٍّ.

الفكرة الأساس هنا هي أنَّ بعض أنواع الشَّرِّ ضرورية لأنواع معيَّنة من الخير.

ما الفرق بين هذا الردِّ على مشكلة الشَّرِّ والردِّ السابق؟

لنتذكَّر تمييز (لايبنتز- Leibniz) بين ما هو ضروري ماديًّا وما هو ضروري ميتافيزيقيًّا. إحدى قراءات الاعتراض الأول هي أن الشَّرَّ ضروري ماديًّا لبعض الخيرات، أمَّا الاعتراض الحالي فهو أن الشَّرَّ ضروري ميتافيزيقيًّا لبعض الخيرات.

خلق الله، حسب الفيلسوف الألماني (ليبنتز)، بقدرته وقوَّته الخارقة والعظيمة، جميع العوالم الممكنة والمقبولة وغير المتناقضة منطقيًّا. لكنَّ الله اختار من بين هذه العوالم الممكنة أفضلها، ويتميَّز هذا العالم المختار بتقابل الخير والشَّرِّ. ويعني هذا أنَّ عالمنا الحالي هو العالم الموجود الحقيقـي الذي أراده الله لنا. وبما أنَّ الله يريد الخـير والصلاح والتوفيق لهذه الأمَّة، فقد وضع ميزانًا جزائيًّا عادلاً يحاسب به الإنسان حسب ما أوتي من خير وشرٍّ. لذلك، خلق الله لنا أفضل العوالم الممكنة التي تتميَّز بتعدُّدها ولا محدوديتها الكونيَّة. في حين، لا توجد العوالم الأخرى إلا من جهة المنطق ليس إلاَّ.

ويُعـدُّ عالمنا من أفضل العوالم الممكنة مـا دام يوجد فيه الشَّرُّ، ولا يمكن تصوُّر العالم دون شرٍّ. ويدلُّ هذا على أنَّ الله قويٌّ وجبَّار ومهيمن؛ يخلق الخير كما يخلق الشرَّ. وعالمنا بشرِّه يعدُّ أفضل العوالم الممكنة كما يقول فولتير في روايته كانديد (Candide)[1]. ويسود عالمنا الأرضي ما يسمَّى بالشرِّ الفيزيائي الذي يكمن في الألم والمعاناة والأمراض.

٤. القاعدةُ الرَّابعةُ: الشَّرُّ ضروريٌّ للإرادة الحرَّة.

الفكرة الأساس هنا؛ هي أنَّ عددًا من أنواع الشَّرِّ على الأقلِّ ليست نتيجة لأفعال الله، بل نتيجة للأفعال الحرَّة للبشر.

1 -Voltaire, Candide ou l›Optimisme, Vanves, Hachette.

إذا كان اللــه قد خلق البشر؛ بحيث يفضِّلون في اختياراتهم الحــرَّة الخير أحيانًا والشرَّ أحيانًا أخرى، فلماذا لم يخلقهم؛ بحيث يختارون الخير دائمًا بحرِّية؟ إذا لم يكن هناك استحالة منطقيَّة في اختيار الإنســان للخير بحرِّية في مناســبة واحدة أو عدَّة مناسبات، فلا يمكن أن تكون هناك اســتحالة منطقيَّة في اختياره للخير بحرِّية في كلِّ مناســبة. إذًا، لم يكن الله، أمام خيار بين خلق آلات بريئة وخلق كائنات قد تخطئ أحيانًا في تصرُّفها بحرِّية: كان متاحًا له بوضوح إمكانيَّة أفضل لخلق كائنات تتصرَّف بحرِّية، ولكنَّها دائمًا ما تكون على حق. من الواضح أنَّ عدم استفادته من هذه الإمكانية يتعارض مع كونه كلِّيَّ القدرة وخيرًا كليًّا.

يعنــي هذا؛ أنَّ الشَّرَّ ليس فعلاً جبريًّا إلهيًّا، بل يعود إلى الفاعل الإنســاني وإلى إرادته الحرَّة. أي: خلــق اللــه الخير والشَّرَّ، لكنَّ الإنســان باعتباره فاعلاً حرًّا هو الذي يكتســب الخير والشَّرَّ ويطبِّقهما في العالم. ويدلُّ هذا على أنَّ الإنسان هو الفاعل المسؤول عن شرور أفعاله وأعماله. وأنَّ الله هو خيرٌ وطيِّب لا يقبل إلَّا الخير ولا يفعل إلَّا الخير. أما الشَّرُّ، فهو مرتبط بالإنســان ما دام يمتلك الحرِّية والإرادة في فعل الشَّرِّ. ويعني هذا كلُّه أنَّ الإنســان يتمتَّع بحرِّية كبيرة تتيح له أن يفعل ما يشــاء، ويرتكب الأخطاء والشرور مهما كان نوعها، وأنَّ الله ليس مسؤولاً عن شرِّه. ويعنــي هذا أنَّ الله قادر على فعل الشَّرِّ، ولكنَّــه لا يفعله، بل أعطى الناس الحرِّية الكاملة لفعل الخير والشَّرِّ، فتركهم يفعلون الشرور دون مضايقتهم أو محاصرتهم أو مراقبتهم بشــكل فوري، بل يمهلهم ليحاسبهم بعد ذلك حسب المنظور الإسلامي.

ثالثًا: نقدٌ وتقويمٌ:

بنى (ماكي) استنتاجه المنطقيَّ والاعتقادي والحِجاجيَّ على مجموعة من الحجج والشبهات الإلحادية والشــكِّية لينفي وجود الله على أساس أنَّ الله عاجز وناقص وغير مبالٍ بالعالم الذي خلقه.

ويشــكُّ (ماكي) أيضًا في قدرة الإنســان على فعل الشَّرِّ ما دام يمتلك الحرِّية على أســاس أنَّه الفاعــل الحقيقي. فمعضلة الشَّرِّ دفعت كثيراً من الفلاســفة وعلماء اللاهوت ورجال الدين إلى إعلان مواقفهم الإلحادية دون التفكير في القضية بشــكل موضوعيٍّ وعلميٍّ. فالله خلق الخير

والشرَّ معًا، ولكنَّه خيرٌ بطبعه، وليس شرِّيرًا. ولو لم يخلق الشَّرَّ، لكان الإنسان أقوى من الله ما دام يرتكب الشَّرَّ، ويفعل الخير.

ويمكن أن نردَّ على (ماكي) بأقوال العدليَّة من المسلمين عند تناولهم قضية العدل وخاصَّة نظرية والأصلح، ونظرية الحسن والقبيح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بحيث يميِّز العدليَّة بين الشَّرِّ الخُلُقيِّ الذي يقترفه الإنسان، وهو ما يجب أن نصطلح على تسميته بالظلم؛ كالقتل والسرقة والحرب والفساد بوجه عام، وبين الشَّرِّ الذي لا دخل ليد الإنسان في وجوده، وهو على نوعين: شرٌّ ميتافيزيقيٌّ ويُقصد به الموت المحتوم، وشرٌّ طبيعي كالأمراض والكوارث الطبيعية؛ الذي لا دخل لإرادة الإنسان في حدوثه. وليس سوى الشَّرِّ الخُلُقيِّ الذي يجب وصفه بالفساد. أمَّا النوعان الآخران من الشَّرِّ فهما ليسا فسادًا؛ لأنَّهما خاضعان لقوانين ثابتة، ولأنَّهما - كما يقول العدليّة - يعودان في الأخير بالنفع على الإنسانية. ويعتبر العدليّة أنَّ الآيات القرآنية تنفي دائمًا الشَّرَّ الخُلُقيَّ عن الله؛ كالظلم والتكفير والفساد، وتنسبه للإنسان.

وإذا كان الله لا يفعل الشَّرَّ ولا يأمر به، ولا يجوز عليه تبديد المنافع وتضييعها، دلَّ ذلك على أنَّه -تعالى- لا يفعل إلَّا الأصلح لعباده، فبمقتضى عدله هو لا يفعل إلَّا الخير، وبمقتضى حكمته لا يفعل إلَّا الأصلح للإنسان، وهذا يدخل تحت ما يسمِّيه العدليَّة باللطف الإلهي، الذي يعني في النهاية نفيَ كلِّ عبث في خلق الله وفي هذا الكون المنظَّم، وعدم ادِّخار أيِّ شيء فيه صلاح للإنسان؛ خليفة الله في هذا الكون. وقد تبيَّن لنا استحالةَ صدور الشَّرِّ عن الله، فهو صادر عن إرادة الإنسان وعن اختياره.

أمَّا فرقة الأشاعرة، فقد قالوا بنظرية الكسب على مستوى أفعال الإنسان. ويعني هذا أنَّ الإنسان ليس حرًّا حرِّية مطلقة، وليس مجبراً جبريَّة مطلقة. بمعنى أنَّ الإنسان يكسب ما يشاء من أفعال الخير والشَّرِّ التي خلقها الله، فيستعملها بإرادته ومشيئته كما يريد ثوابًا وعقابًا. بمعنى أن الله الذي خلق الإنسان يخلق فيه نوعًا من القدرة والاستطاعة يحسّها الإنسان عند الفعل ومعه. هذا النوع من القدرة والاستطاعة يسمِّيه (أبو الحسن الأشعري) كسبًا. أي: إنَّ الإنسان يكسب القدرة على الفعل حين القيام به، ولكنْ لا يستطيع الكسب إلا بقدرة من الله.

ويتبيَّن لنا، مما سبق قوله، إنَّ الإنسان يرتكب كثيراً من الشرور والآثام في حياته كالسرقة،

والكذب، والمُجون، واللهو، والعبث، والزنا، والانسياق وراء شهواته الجسدية والنفسية.

وتقوم فلسفة الشَّرِّ عند بعض الفلاسفة المسيحيّين على مبدأ الخطيئة التي تشكِّل أساس الشَّرِّ الخُلُقيِّ والميتافيزيقيِّ. ويعني هذا أنَّ الخطيئة هي مشكلة الإنسان الأساس. فالشرُّ هو محور ميتافيزيقا الدين عند فلاسفة الدين واللاهوت اعتمادًا على تفسيرات أفلاطون من جهة، والأفلاطونية المحدثة من جهة أخرى. وقد أثبت (أوغسطين- Augustine) ضمن فلسفته المسيحية أنَّ المادة والجسد هما المصدران الرئيسان للشرِّ في العالم. و" كان (أفلوطين- Plotinus) قد ذهب - متأثِّرًا بأفلاطون- إلى أنَّ المادة هي أدنى درجة في سلسلة الموجودات، وهي لهذا السبب تتَّصف بالاضطراب واللا تحدُّد، واللا تعيين، ومن هنا كانت مصدرًا للشرِّ في العالم.

غير أنَّ (أوغسطين) سرعان ما رفض هذا التفسير على اعتبار أنَّه يتناقض تناقضًا واضحًا مع قول الكتاب المقدس " كلُّ ما خلقه الله حسن". فإذا كانت المادة من خلق الله فلا بدَّ أن تكون شيئًا حسنًا. أي: خيراً وليس شرًّا. ومعنى ذلك أنَّها لا يمكن أن تكون هي مصدر الشَّرِّ في العالم.

وفي مرحلة من مراحل رحلته التي كان يبحث فيها عن تفسير للشرِّ نجده يعتنق الثنائيَّة المانَوِيَّة (Manichean Dualism) التي فسَّرت الشَّرَّ تفسيراً سهلاً وبسيطًا؛ بأنْ افترضت وجود إلهين: الإله "أهورا مزدا" إله الخير والنور والمؤمنين الصالحين وكلِّ ما هو طيِّب وجميل في العالم، ثم إله الشَّرِّ "إله الشَّرِّ والظلمة" والطالحين والأشرار وكلِّ ما هو سيِّئ ورديء في العالم". والصراع بين الإلهين وأعوانهما، أو قلْ بين المملكتين: مملكة النور ومملكة الظلام قائم على أشدِّه، وسوف ينتهي آخر الدهر بفوز إله الخير وأعوانه من الشرفاء الطيِّبين.

وظلَّ القدِّيس (أوغسطين) تسع سنوات معتنقًا للثنائية المانويَّة سماعًا؛ وذلك لأنَّه رأى فيها وسيلة لفهم العالم المركَّب من الخير والشَّرِّ. وقد وجد أنَّه من طبيعة الوجود عند هؤلاء المانويِّين أن توجد الظلمة إلى جانب النور، بمعنى أن يوجدَ الشَّرُّ إلى جانب الخير، ويكون ملازمًا له. وعلى ذلك يكون الشَّرُّ عنصرًا أساسًا في طبيعة الحياة البشرية، وبهذا وجد (أوغسطين) ما يبرِّر وجود الشَّرِّ في هذا العالم."[1]

١ - إمام عبد الفتاح إمام: مدخل إلى الميتافيزيقا، ص١٢٧-١٢٨.

وقد ظلَّ فلاسفة الدين حائرين أمام تفسير مشكلة الشَّرِّ الميتافيزيقي واللاهوتي. لذا، كانوا يعودون إلى المذهب الغنُّوصي من جهة، والأفلاطونية المحدثة من جهة أخرى من أجل إيجاد تفسير مشكلة الشَّرِّ. فقد رجع (أوغسطين)، مثلاً، إلى فلسفة (أفلوطين) الذي أعجب به إعجابًا شديدًا، ويتساءل مرَّة أخرى: لمَ لا نقول: إنَّ المادة هي مصدر الشَّرِّ الموجود في العالم؟ ألم يكن الجسد هو مصدر الشهوات ومنبع الخطيئة؟ وإذا كانت المشكلة أنَّ الله خلق المادة فلمَ لا نقول: إنَّ الله خلق الوجود، والوجود بالضرورة خير، أما اللا وجود، فهو بالضرورة شرٌّ، والمادة بمعنى ما من المعاني هي لا وجود. واللا وجود يعني أنَّ المادة ليست موجودة وجودًا فعليًّا في العالم، وإذا صحَّ وكان اللا وجود شرًّا، فلا بد أنْ يستتبع ذلك أنْ تكون المادة هي مصدر الشَّرِّ في العالم، وهي بذلك تعني اللا وجود الأفلاطوني.

والواقع أنَّ هذه المادة ليست بالضبط اللا وجود، وإنَّما هي اللا خير. وإنْ كان ذلك يعني أيضًا أنَّ المادة - بمعنى ما- شر، ما دامت هي "لا خير"، أي انعدام للخير، ولعلَّ ذلك هو ما سمح لـ (أفلوطين) بالقول إنَّ المادة- أي الوجود- هي المصدر الأساس والمبدأ الحقيقي للشرِّ. غير أنَّ الحلَّ الذي نادى به (أفلوطين) يتَّفق مع بقية مذهبه، بمعنى أنَّ الله عند هذا الفيلسوف ليس خالقًا للعالم بالمعنى الذي يقول به الكتاب المقدس أو الذي نجده في الديانة المسيحية. ولهذا كان الله عند (أفلوطين) غير مسؤول عن وجود المادة. في حين، أنَّ الله الخالق لا يمكن أن يكون غير مسؤول عن طبيعة هذه المادة؛ سواء أكانت خيِّرة أم شرِّيرة كما هي الحال بالنسبة لإله (أفلوطين). وإذا كانت المادة شرًّا، فإنَّ ذلك لا يستلزم أن يكون الله هو نفسه شرًّا عند أفلوطين، في حين أنَّ المواقف غير ذلك تمامًا في المسيحية التي خلق الله فيها كلَّ شيء، وجعله حسنًا.[1]"

بيد أنَّ (أوغسطين) لم يقتنع بنظرة (أفلوطين) المتشائمة إلى المادة التي يعدُّها مخلوقة شرِّيرة. لذا، انغمس في اللاهوت المسيحي إلى أن شعر بتفاؤل ديني ميتافيزيقي. ومن ثم، تحدَّث عن نوعين من الشَّرِّ: الشَّرُّ الطبيعي الفيزيقي، والشَّرُّ البشري الخُلُقيُّ.

ينطلق (أوغسطين) من أنَّ جميع الأشياء التي خلقها الله، ولو كانت ماديِّة، هي خيِّرة أو حسنة

١ - أتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص١٦٤.

على أســاس أنَّ ما يخلقه الله فيه الصلاح والأصلح كما يقول العدليَّةُ المسلمون. فالفعل الإلهي فعل إيجابي وخيرٍّ:

"إنَّ جميــع الأشــياء مخلوقة منك، وإنَّ ما خلقه الله حســن. أما الشَّرُّ الــذي كنت أبحث عنه جهدي، فلم يكن من الأشياء الموجودة؛ إذ لا شيء يوجد من دونك، ولا قوام لشيء إلاَّ بك، فلا يســتطيع شيء من الخارج أن يتســلَّل إلى داخل هذا النظام المرتَّب الــذي رتَّبته أنت؛ ليقوم ببثِّ الاضطراب والتشويه بداخله.."[1]

ويعني هذا أنَّ الله خلق الخير والشَّرَّ معًا، ولكنْ بنيَّة حســنة وخيِّرة لصالح الإنسان، ومن أجل ســعادته وفضيلته وكماله. فالخــير والشَّرُّ درجات متفاوتة، فهناك خــير، وهناك الأفضل، وهناك الحســن، والأحسن. والشيء ينطبق على الشَّرِّ. فالكائنات والموجودات الطبيعية تتعرَّض للشرِّ، ولكن ليس بالمفهوم السلبي، بل بالمفهوم الإيجابي للشرِّ، كأن تؤول تلك الموجودات الطبيعية إلى الاندثار والزوال والفناء، وتبقى الأخرى حتى تتعرَّض للزوال أيضًا، وتلك سنَّة الحياة، وفيها سعادة للموجودات والكائنات الطبيعية عندما تعجز عن الاستمرار، ولا يكون لها رغبة في البقاء والاســتمرار في الحيــاة أمام المرض والعجز والكــبر والهرم. فالشرُّ هو قانــون إلهي يتحكَّم في الموجــودات الطبيعية والبشرية مــن أجل صالحها ومنفعتها. وفي هذا الصــدد، يقول (إمام عبد الفتاح إمام) في كتابه (مدخل إلى الميتافيزيقا):

«إنَّ العالم هو موطن الكون والفســاد في الطبيعة الحيَّة والطبيعة الجامدة على حد سواء. وما نســمِّيه بالشرِّ الطبيعي أو الفيزيقي هو فســاد الأشــياء المادِّية أو زوالها، وهو ليس شرًّا بالمعنى المطلق أو الدقيق لهذه الكلمة، وإنَّما هو نسبيٌّ. إنَّ أشكال الاضطرابات وألوان الدمار- حتى ولو كانت نسبيَّة؛ لأنَّها تحدث داخل النظام العام- فإنَّها يمكن أن تشكِّل ما نسمِّيه بالشرِّ الميتافيزيقي الذي يعبرِّ عن اللا مســاواة التي نلاحظها في المخلوقــات. فإذا كانت المادَّة في ذاتها خيرًا، فإنَّ كلَّ شيء يمكن أن يوصف- بالتالي- بأنَّه خير؛ لأنَّه ليس من الضروري أنْ يكون خيرًا في ذاته، بل

١ - أوغســطين: اعترافات القديس أوغيسطينيوس، الفصل السادس وعنوانه: (في معرفة أن الشر لا يوجد في الأشياء، بل في إرادة الإنسان الخبيثة).

حتـى لو كان أقلَّ خيرًا، فإنَّ ذلك لازمٌ للكمال الأعظم الذي يُعرف به الكلُّ. لكنْ ما ينبغي علينا ملاحظته هو أنَّ هذه الحدود نفسـها، الدالَّة على التصوُّر، وتلك التعبيرات التي نتَّهم بها الطبيعة هي من الناحية الميتافيزيقية ملازمة وكامنة في داخل الشيء المخلوق بما هو كذلك؛ لأنَّ الأشياء قد خُلقت من العدم، ولأنَّها خُلقت فهي موجودة، ولمَّا كانت موجودةً فهي خيِّرة؛ ولكنَّها خارجة مـن العدم، فهي بالضرورة متغـيِّرة أو قابلة للتغيُّر. ومن ثَمَّ، ففي اسـتطاعتك أن تقول: إنَّ الشَّرَّ الفيزيقي هو قانون التغيُّر الذي لا يرحم.»[1]

وإذا كان الـشَّرُّ الفيزيقـي شرًّا طبيعيًّا إيجابيًّا بالمفهوم الديني واللاهـوتي، فإنَّ الشَّرَّ البشري والإنسـاني هو شرٌّ سـلبي. ويعني الشَّرُّ البشري أنَّه شرٌّ خُلُقيٌّ بامتياز؛ حيث يتمرَّد الإنسان على الله، ويستخدم إرادته وحرِّيته بطريقة غير صحيحة ومنافية للصواب، فيقترف المعاصي والكبائر والذنوب التي تسـتلزم العقاب، وحرمان الإنسـان من الخير الإلهي العـام والخاص. وبالتالي، يقترن الشَّرُّ الإنسـاني والبشري بارتكاب الخطيئة التي تسـتلزم التوبة والغفران عن طريق العودة إلى الله قصد التكفير عن الخطيئة. فالهدف من اللاهوت المسـيحي هو نُشـدان التوبة الإلهيَّة، والتخلُّـص من إثم الخطيئة الكبرى بسـبب اقتراف الشرور والآثام الجسـدية والنفسـية. ويرى (إمـام عبد الفتاح إمام) أنَّ "الشَّرَّ البشري هـو الشَّرُّ بالمعنى الدقيق للكلمة، وهو يُردُّ إلى الإرادة البشرية، أو هو سوء استخدام للحرِّية عندما ينبذ المرء الخير الدائم، الخير الأزلي- المتمثِّل في إطاعـة الأوامر الإلهية، والانصياع إلى وصايا الكتاب المقـدس، ليجري وراء خير زائل وعابر. ولقد حدث أن اسـتخدم الإنسان إرادته استخدامًا سيِّئًا عندما وقع في الخطيئة الأولى. فهو لأنَّه مـزوَّد بإرادة حرَّة قادرة، وبالتالي على التمـرُّد والعصيان، فإنَّه قد تمرَّد وعصى. والخطأ لا يكمُن في أنَّـه أراد موضوعًا هـو شر في ذاته؛ لأنَّ فكرة مثل هذا الموضوع ذاتـه فكرة متناقضة، بل في سبيل البحث عن خيره الخاص العابر الزائل أشاح بوجهه عن الله، أعني عن الخير الدائم. وعلى الرغم من أنَّ الله هو الذي خلق هذا الإنسـان، فقد تكبَّر وتغطرس وفضَّل نفسـه على الله! وهو بفعله هذا جلب الشَّرَّ الخُلُقيَّ إلى العالم. إنَّ الإنسـان بارتكابه الـشَّرِّ الخُلُقيِّ فإنَّه يقلب النظام

١ - إمام عبد الفتاح إمام: مدخل إلى الميتافيزيقا، ص١٣٠-١٣١.

رأسًـا على عقب، وهذا هو مفهوم الشَّرِّ في الفكر المسيحي. إنَّه يفعل أكثر من مجرَّد الانحراف عن طبيعته العاقلة أو التقليل من إنسانيَّته، وهذا هو مفهوم الشر في الفكر اليوناني. ولهذا حمل الشَّرُّ الخُلُقيُّ الأوَّل اسـمًا خاصًّا في المسيحية هو اسم الخطيئة. وهو يعني أنَّ الشَّرَّ الخُلُقيَّ قد أتى إلى الكون الذي خلقه الله بفعل من إرادة الإنسان الحرَّة."[1]

ونفهم من هذا كلِّه أنَّ الإنسان حرٌّ في أفعاله يكسب ما يشاء من خير أو شرٍّ، وهو مسؤول عن ذلك الفعل. بيد أنَّ الله يفعل الخير والصلاح للإنسان، ولو في شروره الطبيعية والبشرية كالزلازل والبراكين والهلاك والموت.

وإذا كان الخير هو قوَّة البناء، فإنَّ الشَّرَّ هو قوَّة الهدم. وإذا كان الخير محبَّة، فإنَّ الشَّرَّ كراهية. وإذا كان الخير قائمًا على غريزة الحياة، فإنَّ الشَّرَّ ينبني على غريزة الموت والهلاك.

خاتمة

وخلاصة القول، ينطلق (جون ليزلي ماكي) من مجموعة من الأسـئلة والافتراضات المنطقيَّة والحِجاجيَّة والجدليَّة ذات الطبيعة الفلسفيَّة واللاهوتيَّة لتبيان طبيعة الشَّرِّ مقارنة بخصلة الخير. وقـد أثبت أنَّ الشَّرَّ يوجد حيث يوجد الخـير، وأنَّ الشَّرَّ طريق ضروري لمعرفة الخير. وبالتالي، يستوجب فعلُ الشَّرِّ وممارسته أنْ تكون الإرادة البشرية حرَّة، وألَّا يكون هناك طوق وجبر وقهر. فالعالم الذي نعيش فيه ونحيا فيه ونمارس فيه الشَّرَّ هو أفضل العوالم الممكنة.

ويعنـي هذا أنَّ تصوُّرات (جون ليزلي ماكي) عن الشَّرِّ ذات طبيعة فلسـفيَّة ولاهوتيَّة ومنطقيَّة وكلاميَّة بامتياز. ويتَّسـم تصوُّره عن معضلة الشَّرِّ بالشكِّ الخُلُقيِّ والإلحاد عندما يثبت بأنَّ الله خيرٌ، ولكنَّـه أوجد الشرّ. ويعني هذا أنَّ الله شرِّير وغير موجـود وغائب عن هذا العالم البئيس الذي يعرف أنواعًا عدَّة من الشرور الخُلُقيَّة والطبيعية والميتافيزيقية.

وقد ميّزنا في هذا البحث بين الشَّرِّ الخُلُقيِّ الذي يقترفه الإنسان، وبين الشَّرِّ الذي لا دخل ليد

١ - إمام عبد الفتاح إمام: مدخل إلى الميتافيزيقا، ص١٣١-١٣٢.

الإنســان في وجوده، وهو على نوعين: شرٌّ ميتافيزيقيٌّ ويُقصد به الموت المحتوم، وشرٌّ طبيعي كالأمراض والكوارث الطبيعية، وليس سوى الشَّرِّ الخُلُقيِّ الذي يجب وصفه بالفساد. أمَّا النوعان الآخران من الشَّرِّ فهما ليسا فسادًا؛ لأنَّهما خاضعان لقوانين ثابتة، ويعودان في الأخير بالنفع على الإنسانية.

وإذا كان الله لا يفعل الشَّرَّ ولا يأمر به، ولا يجوز عليه تبديد المنافع وتضييعها، دلَّ ذلك على أنَّه -تعالى- لا يفعل إلَّا الأصلح لعباده، فبمقتضى عدله هو لا يفعل إلَّا الخير، وبمقتضى حكمته لا يفعل إلَّا الأصلح للإنسان، وهذا يدخل تحت ما يُسمَّى باللطف الإلهي، الذي يعني في النهاية نفيَ كلِّ عبث في خلق الله وفي هذا الكون المنظَّم، وعدم ادِّخار أيِّ شيء فيه صلاح للإنسان.

المصادرُ والمراجعُ:

- أوغسطين: اعترافات القديس أوغيسطينيوس، تعريب: يوحنا الحلو، دار الشرق، بيروت، لبنان.
- أتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، طبعة ١٩٩٦م.
- إمام عبد الفتاح إمام: مدخل إلى الميتافيزيقا، نهضة مصر للطباعة والنشر، والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
- زكريا إبرهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ج١، مصر، طبعة ١٩٦٨م.
- زكريا إبراهيم: المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، القاهرة، مصر، دون توثيق.

المراجع الأجنبية:

- J. L. Mackie, «Evil and Omnipotence,» Mind, New Series, Vol. 64, No. 254. (Apr., 1955), pp. 200212-.
- John Leslie Mackie : Éthique: Inventer le bien et le mal (1977), Viking Press, (ISBN 08-013558-14-).
- John Leslie Mackie : Truth, Probability, and Paradox (1973), Oxford University Press, ISBN 09-824402-19-.
- John Leslie Mackie :Ethics: Inventing Right and Wrong (1977), Viking Press, ISBN 01978) .8-013558-14- Reprint Available for loan at Open Library)
- Mackie 1982. Le miracle du théisme : arguments pour et contre l'existence de Dieu (1982), Oxford University Press,
- The Cement of the Universe: A Study of Causation (1980), Oxford University Press, ISBN 00-824642-19-.

- 12-Voltaire, Candide ou l'Optimisme, Vanves, Hachette, 2016,

المقالاتُ:

- غيضان السـيد علي: (الإلحاد ومشكلة الشر دراسة نقدية للإلحاد القائم على وجود مشكلة الشر)، مجلة متون، جامعة سعيدة، الجزائر، المجلد ٤، العدد٤، ١٩٢١م.